رِسالةُ سَهْل بن هارُون في البُخْلِ بين القصدِ والقَبولِ دراسةٌ نصّيّةٌ

أ.م. د. يونس يحيى عبد الله
قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات / الجامعة العراقية

alsalman78younis@gmail.com

تاريخ الطلب : ١٠ / ٢ / ٢٠٢٣
تاريخ القبول : ٣ / ٣/ ٢٠٢٣

المخلص:

فإنّ النصّ النثري العربي القديم ما زال بحاجة كبيرة لتضافر الجهود لقراءته قراءة حديثة تناسب الواقع اللغوي للفرد العربي ،وقد جعلت عنوان البحث : (رسالة سهل بن هارون في البخل بين القصد والقبول دراسة نصية)

وتشكل البحث في مقدمة ، وتمهيد ، ومطلبين ، كان المطلب الأول : القصد في رسالة سهل بن هارون. أما المطلب الثاني فهو : القبول في رسالة سهل بن هارون .

ثم تأتي الخاتمة ، ومن بعدها قائمة المصادر والمراجع ، والملخص باللغتين العربية والانجليزية .

Abstract

The classical Arabic prose text still needs great efforts to understand when interpreting it in a modern way that suits the linguistic reality of an Arab reader.

The research includes an introduction, a prelude, and two sections. The first section tackles the purpose behind "A textual study of the letter of Sahl bin Harun about miserliness: between the purpose and acceptance ".

As for the second section, it is about acceptance of the letter of Sahl bin Harun.

Then comes the conclusion, followed by a list of references, and a summary in both Arabic and English.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء ، وسيد المرسلين نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فإنّ النصّ النثري العربي القديم ما زال في حاجة كبيرة لتضافر الجهود لقراءته قراءة حديثة تناسب الواقع اللغوي للفرد العربي ، وذلك أنّ الذائقة العربية حتى العصر الحديث قد اتّكأت اتكاء كبيرًا على المنظوم من الأدب العربي ؛ لرفد المتكلم العربي بأساليب بليغة ليرتفع مستواه التعبيري في التّوظيف اللغويّ للألفاظ ، وقد لحظنا هبوطًا حادًا في المستوى اللغوي للفرد العربي في الآونة الآخيرة ، ولا سيما بعد أن تعاورته معاول الهدم الثّقافي من كلّ جانب ، وقد رغبت بأن أعرض نصًا تراثيًّا له قيمته الأدبية، وأن أدراسه على وفق الدرس اللساني عسى أن يكون ذلك اسهامًا مني في ايقاظ الهمم نحو دراسة التراث دراسة تتواءم مع متطلبات الفرد العربي في هذا العصر ، فوقع الاختيار على (رسالة سهل بن هاون في البخل) ،وسهل كاتب وأديب من أعلام العصر العباسي ، وسنأتي على شيء من سيرته .أمّا الرسالة فقد نالت الاهتمام الملحوظ في عصر مؤلّفها، وما تلاه من العصور حتى يومنا هذا ، فهي جديرة بالدّرس والعرض والتّحليل .

وقد جعلتُ عنوان البحث:(رسالة سهل بن هارون في البخل بين القصد والقبول دراسة نصّيّة)، وإنّما أفرد القصد والقبول دون باقي المعايير السبعة النصية ؛لأنّ الرسالة قد أثيرت حولها شبهات من جهة هذين المعيارين ، فقد وقع الخلاف في قصد سهل بن هارون هل كان بخيلًا مقترًا ،أو كان حريصًا مقتصدًا ، وأمّا القبول فلا شكّ أن المتلقين قد تنازعتهم الآراء بشأن قبولها سواء من جهة الغرض الذي قد تضمنته أم من جهة تحقيقها لِما سعى مؤلفه إليه من نصيحة بني قومه ، فكلّ هذا سيسعى البحث لمعالجته على وفق هذين المعيارين (القصد والقبول) مستعملًا في ذلك كلّه الأدوات النحوية ،والأساليب البلاغية التي تشكّلت ؛ ليتولد هذا النّصّ .

وتشكّل البحث في مقدمة ، وتمهيد ، ومطلبين ، كان المطلب الأول : القصد في رسالة سهل بن هارون . فبعد تعريف القصد في اللغة الاصطلاح عرضت القصد في خمس فقرات هُنّ : أولًا : بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية : ثانيًا : التأكيد ثالثًا :الحذف : رابعًا :التّقديم التّأخير ، خامسًا : مخاطبة غير المعين .أمّا المطلب الثاني فهو : القبول في رسالة سهل بن هارون . وبعد

تعريف القبول في اللغة والاصطلاح كشفتُ ما يمكن أنّ يكون سببًا لقبول هذا النّصّ وكان في أربع فقرات هُنّ : أولًا : الشواهد ، ثانيًا : سجع الكلام ، ثالثًا : التقريب ،رابعًا : التشبيه ،ثم تأتي الخاتمة ،ومن بعدها قائمة المصادر، والمراجع .

التمهيد : رسالة سهل بن هارون قيمة اللغة وقمّة الأدب.

سهل بن هارون بن راهبون أبو عمرو الفارسي الأصل الدستميساني: دخل البصرة واتّصل بالمأمون فولّاه خزانة الحكمة. وكان أديبا كاتبا شاعرا حكيما [١]، وكان الجاحظ كثيرًا ما يحكي عنه ويصف براعته ويثني على فصاحته، وكان مشهورًا بالبخل ،وله في ذلك أخبار كثيرة، وله رسالة في البخل[٢] ،وقد أورد هذه الرّسالة الجاحظ في كتاب البخلاء ،وله تصانيف غير قليلة ، توفي سهل بن هارون سنة مئتين وخمس عشرة. [٣]

إنّ رسالة سهل بن هارون يمكن لنا قراءتها ،وتحديد فقراتها قبل التفصيل في محاسن لغتها وقيمتها الأدبية ، فقد تألفت من خمس فقرات جاءت على النحو الآتي :

أولًا : استفتاح ودعاء لبني عمّه .

وقد بدأه بالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) بل إنّ الاستفتاح كان كلّه البسملة ، ولا شكّ أنّ في هذا الاستعمال الذّكي ،وتصديره الكلام بالبسملة إشعارًا منه ؛لأنّ ما سيقوله بعدها قد اعتقد

---

[١] للأستاذ إبراهيم عوض بحث لطيف في ردّ شبه البخل والزندقة والشعوبية عن سهل بن هارون ، عنوانها : سهل بن هارون وتهمة الشعوبية والزندقة، والرسالة المنسوبة إليه في البخل. ، وقد قدّم أدلّته وفق تحليله الشخصي وقد وفّق في طرحه ـ فيما أرى ـ في ردّ هذه الشبه عن سهل بن هارون : ينظر: البحث تفصيلًا :
http://www.wata.cc/forums/showthread.php?109326

[٢] قدّم محقق كتاب البخلاء طه الحاجري بحثًا كاملًا عن نسبة الرسالة لسهل بن هارون ،فهو مع تسليمه الكامل بأنّ الروايات التاريخية أثبتت لسهل ابن هارون هذه الرسالة مع ثبات الشهرة له بالبراعة في الأدب والكتابة ، إذ هو من مشاهير الكتاب في عصره ، يبقى المحقق الفاضل متشكّكًا ويراها قريبة الأسلوب من طريقة الجاحظ بل متطابقة معه ، ينظر: البخلاء ، تعليقات ،وشروح الفقرة / ٢٢ ، الصفحات : ٢٨٦ – ٢٧١.

[٣] ينظر : معجم الأدباء: ٣/ ١٤٠٩ ، وفيه : " وكتب سهل بن هارون إلى المأمون رقعة مختصرة قال فيها: وكرهت أن يكثر الكلام فيتفرق فيه الذهن. له من التصانيف: كتاب ديوان رسائله. كتاب ثُعلة وعَفراء. كتاب الهُذلية والمخزُومي. كتاب النَّمر والثعلب . كتاب الوامِق والعذْراء. كتاب بَدُود لَدُود رَدُود. كتاب الضَّربين. كتاب اسباسيوس في اتخاذ الإخوان. كتاب الغزالين. كتاب أدب أسل بن أسل ، وكتاب شجرة العقل. كتاب إلى عيسى بن أَبان في القضاء. كتاب تدبير المُلك والسياسة، وغير ذلك.

فيه اعتقادًا جازمًا ، فالبسملة استعمال قرآني ،وقد يكون أراد حلول البركة فيما سيقوله بعدها ، وقد حصلت هذه البركة ،إذ دفعت هذه الكلمة شبهة الزّندقة عنه ابتداءً .

ثمّ تابع الدعاء لبني عمّه بجمل فعلية: (أصلح ، جمع ، علّم ، جعل) فـ " أصلح الله أمركم ، وجمع شملكم ، وعلّمكم الخير ، وجعلكم من أهله "[٤] ، لا شكّ أنّ هذه الأدعية قد جاءت بقصد من سهل بن هارون ،فهو يدعو لهم بالصلاح في الأمر ؛لأنّه يرى أنّهم قد اعوجّوا فيه ، ويدعو لهم بجمع الشّمل ،فيراهم قد تفرّقوا حين عابوه ، فهو على الحقّ برأيه، وهم على خلافه ،فهم في شتات من الأمر بحاجة للجمع ، ثمّ يدعو لهم بأن يعلّمهم الله الخير، ويجعلهم من أهله ، ولا أراه إلا قاصدًا بالخير الحرص والاقتصاد .

ثانيًا: ارشادات عامة ،وتأصيل لمذهبه .وهي قطعة متوسطة من الرسالة ضمّنها أقوالًا للسابقين ترشد لمذهبه ، فقد صرّح بأسماء قائليها قاصدًا أنّ ما يراه ليس هو فيه بدعًا ،ولا مذهبًا محدثًا ليس له فيه سلف ، فبدأ بالأحنف بن قيس ، وأعقبه بقول كأنّه متواتر (وقد كانوا يقولون)

ثالثًا : عرض لمذهبه عن طريق ما أعابوه به بقوله :(عبتموني) .وقد أورد عشرة موارد أعابوه فيها ،وقد كان القسم الأكبر من الرسالة ، وقد ضمّنها اعتراضاتهم وردّ عليها بالحُجج العقلية ،والنقلية وناقش ، فقد نقل جملة من أقوال المتقدمين ،ونصوص من القرآن والسنة .

رابعًا :خاتمة ابتدأها بقوله : " ولسنا ندعُ سيرة الأنبياء تعليم الخلفاء ،وتأديب الحكماء لأصحاب الأهواء " [٥]،وذكر فيها أحوالا من سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وجملة من أقوال الصحابة وأحوالهم .

خامسًا : خلاصة الرّسالة ،بعد أن أنهى رسالته بخاتمة تليق جاء بخلاصة لها ذكر فيها : " فلستم عليّ تردّون ،ولا رأيي تُفنّدون ، فقدّموا النّظر قبل العزم، وتذكّروا ما عليكم قبل أن تذكُروا ما لكم. والسلام "[٦].

والحقيقة أنّنا لسنا بحاجة كبيرة للبرهنة على سلامة لغة الرّسالة وفصاحتها ، فقد شُهد لسهل بن هارون بالفصاحة والتمكّن من الأدوات اللغوية[٧] ، والذي يطالع في هذه الرسالة يجدها قد بُنيت بناء لغويًّا فذًّا ينسجم مع قصديّة الكاتب ،ومرماه في مدح الاقتصاد ،وإن سمّي بخلًا وشحًا.

---

[٤] البخلاء : ٩ .

[٥] البخلاء : ١٥ .

[٦] المصدر نفسه : ١٦ .

المطلب الأول : القصد في رسالة سهل بن هارون .

أولا : القصد في اللغة والاصطلاح .

القصد في اللغة

قصدتُه ، وقصدتُ له ، وقصدتُ إليه ،والقصد من الجذر (قصد) بأصول ثلاثة ، منها الاتيان على الشيء وأَمِّه[٨]

تعريف القصد : Intentionality

هو أحد المعايير السبعة التي يبنى عليها النّصّ ، وقد عرّفه دي بوجراند بقوله : "هو يتضمن موقف منشئ النّصّ في كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصًّا يتمتع بالسبك ،والالتحام"[٩] .

والصورة التي شكّلت النّصّ المقصود هي عنده "وسيلة من وسائل متابعة خطّة معيّنة للوصول إلى غاية بعينها"[١٠] .

ولا شكّ أنّ نصّ سهل بن هارون مقصود ، فمع أنّ النّصّ مسبوك ومحبوك جرى على سنن العرب في كلامها لم يخالف قواعدها ،ومسلمات نظامها ، فإنّ موقف منشيء النّصّ سهل بن هارون كان واضحًا من تصوير البخل بصورة حسنة ،وقد وظّف اللغة لإظهار هذا القصد .

وتعريف القصد يجعل منه دليلًا على وجود نصٍّ مسبوكٍ ومحبوكٍ : غير أنّ دي بوجراند لا يرى عدم وجود السبك والحبك حائلا دون حصول القصد إذ " يظل القصد قائمًا من الناحية العملية حتّى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك ،والالتحام"[١١] .

والحقيقة أنّ التراث العربي لم يقيد الكلام بقصد المتكلم بل كانت الإفادة هي المحور ، فلا تعقد الإفادة من دون قصد فالكلام المسكوت عنه بفائدة ينبغي أن يكون مقصودًا[١٢] ، وإن وضع "القصد في حدّ الكلام؛ لأنّه إنّما يحترز به عن حديث السّاهي ،والنّائم ،والمجنون، والصّادر من هؤلاء يخرج بقيد

---

[٧] ينظر: رسائل الجاحظ : ٢٦٢/٢ ، و البغال ، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ط/ ٢ ، ١٤١٨ هـ : ٥١، عمدة الكتاب ، أبو جعفر المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ) : ٣٧٢ . أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها ، أبو القاسم الوزير المغربي (ت ٤١٨هـ):١١٢ .

[٨] ينظر : أساس البلاغة :(قصد) ٥١١ ومقاييس اللغة : (قصد) : ٧٧٧ .

[٩] النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .

[١٠] المصدر نفسه : ١١٣ .

[١١] المصدر نفسه : ١٠٣ .

[١٢] ينظر : شرح التصريح على التوضيح : ١/ ٧٢.

الإفادة؛ لأنّ مثل هذا لا يفيد بوجه. ولو قال النّائم: زيدٌ قادمٌ مثلًا ،ووافق ذلك قدومه، فالفائدة لم تحصل من إخباره، وإنّما حصلت من مشاهدة القدوم. "[١٣] .

وبما أنّ اللغة نشاط تواصليّ بين المنتج ،والمتلقي[١٤] كان لمعيار القصد أهميته في تحقيق النّصّيّة ؛ لأنَّه "تعبير عن هدف النّصّ"[١٥] ، ويبقى لنا أن نسفر عن الوجوه اللغوية التي جاء بها سهل بن هارون لإيضاح مقصده ،وبيانه ،وتأكيد هذا المقصد بأساليب العربية المتنوعة .وسأجرى الكلام على هذه الأساليب على النحو الآتي :

أولا : بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية :

لسنا بصدد الكلام على ماهيّة الجملة ،أو على فعليّتها ،و اسميّتها ، ولكننا نحاول ايجاد ما ينفع الربط بين كثافة الورود لنمطي الجملة المعروفين ،وبين قصد المتكلم ،فالنّصّ لا شكَّ متأثر بقصد منشئه، وهذا ما نحاول كشفه بجرد الرسالة واستنطاق نصّها عن مكنونه الأساس من نوعي الجملة سواء كانت هذه الجملة فعلية أم اسمية .

وقد وقفت على احصاء الجملة بنوعيها فكان في أربعة وأربعين بعد المئة الرابعة ، وهذه المواضع جاءت فعلية في غالبها،فقد كانت الفعلية منها تسعة عشر وثلاثمئة .أما الاسمية فهي مئة وخمسة وعشرون وضعًا، ولو أردت التصريح بنسبها فالجملة الفعلية هي : (٧١%) والاسمية منها (٢٩ %) على التقريب .

ولا شكّ أنّ لهذا الورود الغالب للجملة الفعلية دلالته ،فقد كشف لنا قصد المتكلم ،فالذي يرمي إليه سهل بن هارون هنا الحدوث والتجدّد في الجملة الفعلية[١٦]،ويكفي الاشارة هنا إلى أبرز الجمل الفعلية ،وأكثرها تكرارًا بلفظها ،ومعناها(عبتموني) فقد وردت إحدى عشرة مرة [١٧]،ومنها (عبتم) ثلاث مرات ،فعلى الرغم من أنّ الفعل واحد بصيغته غير أنّه جاء بأنواع القضايا التي عيب بها عليه عُقيب كلّ مرّة يرِد فيها هذا الفعل .

هذا من جهة ما وقع منهم من رميه بأنواع البخل. أمّا ما كان يردُّ به فقد توافق له الردّ بالجمل الفعلية ،ولا سيما في تحريره لحُججه وتصديرها بـ : يقول : ويذكر القائل باسمه ، أو قال

---

[١٣] تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد :١/ ١٤٨.

[١٤] ينظر : مدخل إلى علم النص : ٢٥ .

[١٥] علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٦٦ .

[١٦] ينظر: معاني النحو : ٢٦٧/٣، و خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، محمد محمد أبو موسى :٣٠٠ .

[١٧] توهم الباحث : فائد محمود محمد سلمان ، في رسالته : فن الرسائل عند سهل بن هارون وعمرو بن مسعدة ، إذ قال : إنّ جملة (عبتموني تكررت حوالي اثنتي عشرة مرة) : ١١٨ .

: ويكرر القائل باسمه هذا في الرسالة كلّها عدا موضعين جاء بصيغة المصدر : قوْله : ليكمل نصًّا قد بدأه [١٨].

ثانيًا : التأكيد

إن كان التأكيد :" تمكين الشّيء في النّفس وتقوية أمره ، وفائدته إزالة الشّكوك ،وإماطة الشّبهات عمّا أنت بصدده، وهو دقيق المأخذ" [١٩]، فليس هو في هذه الرّسالة سوى أسلوب أراد منه الكاتب أن يرسخ مبدأه في الاقتصاد ،وقد جاء مقصودًا منه ،ولا سيما أنّه قد وظّفه في مواضع يحتاجه المُخاطَب منه ، وقد ورد هذا الأسلوب بأكثر من صيغة من أبرزها :

التأكيد بالحرف المشبه بالفعل (إنّ) فقد ورد في الرسالة في واحد و أربعين موضعًا[٢٠] ، وهذا المؤكد هو من نواسخ الجملة الاسمية ويأتي مؤكدا للخبر[٢١] ،ومن هذه المواضع قوله : " فإنّ أسرع الناس إلى القتال، أقلُّهم حياءً من الفرار "[٢٢] فقد أكد بهذه الأداة نسبة الخبر (المسند) إلى المبتدأ الذي هو اسم (إنّ) ويمثل في تركيبها المسند إليه ، فأكثر من قلّ حياءهم من الفرار والهزيمة في الحرب هم ممن أسرع إلى اشعال الفتنة ودعا إلى القتال . ولعلّ هذا الكمّ من المؤكدات من هذا النّوع ، يكشف لنا مدى ظهور قصده في رسالته .

ومن المؤكدات التأكيد بالقصر[٢٣] ، وقد ورد في ثلاث صيغ الأولى : (إنّما) في موضعين منهما قوله : " إنّ فضل الغني على القوت، إنّما هو كفضل الآلة ، تكون في الدار " [٢٤]. ومما يميز القصر في الأداة (إنّما) أنّ المخاطب يعلم بهذه الصفة المقصورة على الموصوف ،ولا يُنكر ثباتها له ، بل يدرك المُخاطَب من هذه الأداة اثبات هذه الصفة له ،ونفيها عن غيره في سياقها الواحد [٢٥]

---

[١٨] ينظر : البخلاء : ١٤ ونصّه : " فمن ذلك قوله في يحيى بن خالد ، ومن ذلك قوله في محمّد بن زياد ".

[١٩] الطراز : للعلوي : ٢/٩٤ .

[٢٠] من هذه المواضع قوله : " وحين زعمت أن المخصوفة أبقى وأوطأ وأوقى، وأنفى للكبر، وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، وأن الاجتماع مع الحفظ، وأن التفرق مع التضييع. " ، وقوله : " وقلت لكم، عند إشفاقي عليكم: «إن للغنى سكرا، وان للمال نزوة " ينظر: البخلاء : ١١ ، ١٤ .

[٢١] ينظر: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي : ٨٢.

[٢٢] البخلاء : ٩ .

[٢٣] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ١٣٣ ، و المعجم المفصل في علوم البلاغة ، البديع والبيان والمعاني :٦٢١-٦٢٣ ، ويسمى حصرًا أيضًا ينظر: المصدر نفسه : ٥٤٣ -٥٤٥.

[٢٤] البخلاء : ١٥ ، والموضع الآخر في قوله : " إنّما يعيب، بفضل ما فيه من العيب " ينظر: :٩

[٢٥] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ١٤٠ ، ١٤١ .

والصيغة الثانية: النفي والاستثناء ،في ستة مواضع . [٢٦] منها قوله : "وما أردنا، بما قلنا، إلا هدايتكم وتقويمكم، وإلا إصلاح فسادكم، وإبقاء النعمة عليكم "[٢٧] وقد جاء بقصر الصفة على الموصوف ، وهنا قد أقام سهل بن هارون بني عمه مقام من يعتقد به هذه الصفات المقصورة مع احتمال غيرها ، فتحديده هذه الصفات وقصرها عليه نفيًا منه لغيرها في رأيهم وتأكيدًا لها في قصرها عليه دون غيرها . فهو لم يرد بما يقوله في هذه الرسالة أن يهديهم للصواب وتقويم ما اعوج من طباعهم ، ثم يعطف على هذه الصفات مكررًا الأداة (إلّا) دون النفي ؛ لأنّ المنفي عن الموصوف هو واحد (ما أردنا بما قلنا) وهو إصلاح ما فسد من طريقتهم في التعامل مع المال ،

وهو يريد بذلك لهم الخير في بقاء النعمة بين أيديهم وعدم زوالها بالتبذير ،وقلّة الحيلة في الادّخار .

وبعد هذا القصر يأتي سهل بن هارون بقصر آخر كأنّي به يؤكد القصر الأول فهو من النفي والاستثناء والمعاني متقاربة مع القصر الأول ؛فهو من التأكيد لديه أيضًا ، وذلك قوله : " وما أوصيناكم إلا بما قد اخترناه لأنفسنا قبلكم "[٢٨] وقد بين أنّ ما يوصي به قومه إنّما هو قد جربه بنفسه وهذا مما يدل على صدقه بالنصح وإخلاصه بالتحذير .

أما الصيغة الثالثة : فقد جاء القصر بالعطف بالحرف (بل) ويكون المقصور عليه بعدها مباشرة [٢٩]، وقد جاء في قول سهل بن هارون :" ، وقد قيل لرئيس الحكماء ومقدم الأدباء: العلماء أفضل أم الأغنياء؟ قال: بل العلماء "[٣٠]وفي هذه الجملة من الرسالة جاء المقصور عليه (العلماء) بعد حرف العطف (بل) [٣١]

ومن هذه المؤكدات التأكيد بالحرف: (قد) [٣٢] وقد ورد سبع وعشرين مرّة في هذه الرسالة منها موضعان مقترنان باللام الموطئة للقسم وذلك في قوله : " فلقد أتيت من ماء الوضوء بكيلة يدل حجمها على مبلغ الكفاية وأشف من الكفاية "[٣٣] و قوله : "ولقد لفقت سعدى

---

[٢٦] ينظر: قوله : "وما أردنا، بما قلنا، إلا هدايتكم وتقويمكم، وإلا إصلاح فسادكم" و " أوصيناكم إلا بما قد اخترناه لأنفسنا قبلكم " وقوله : " لم أر تبذيرا قط إلا والى جانبه حق مضيع " و قوله : " فإنّ البلية لا تجري في الجميع إلا مع موت الجميع " ، و قوله : " فلو لم يكن لك فيه إلا أنّه عز في قلبك " .

[٢٧] البخلاء : ٩ .

[٢٨] المصدر نفسه : ٩ .

[٢٩] ينظر : المعجم المفصل في علوم البلاغة ، البديع والبيان والمعاني :٦٢١.

[٣٠] البخلاء : ١٥ .

[٣١] ينظر: علم المعاني : عبد العزيز عتيق : ١٥١ .

[٣٢] ينظر: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي : ٢٣٠.

[٣٣] البخلاء : ١٠ .

ابنة عوف إزار طلحة، وهو جواد قريش، وهو طلحة الفياض "[٣٤] .ولا شكل أنّ في هذين الموضعين زيادة تأكيد فاللام الموطئة للقسم تشي بأنّ سهل بن هارون عامل المخاطب من آل زياد معاملة الشاكّ أو المنكر لما سيُخبر به .ولعلّ الشك لم يقع من أحد في صدق الخبرين لكنّه أراد تأكيد قصده وفهمه لما نقله فجاء به مؤكدًا دفعا لإشكال الفهم لا إشكال الخبر ذاته .

ثالثًا :الحذف :

قد يأتي الحذف ؛ليظهر للمخاطب ما قصده المتكلم ، فلا يلقى المحذوف اهتماما ، وإنّما ينصب كلّ الاهتمام على ما ذكر ، وقد بيّن مثل هذا العلوي (ت ٧٤٥ هـ) في قوله تعالى﴿ قم كج كدكذ لخ ﴾ سورة يس: ٢٦ فقال: " وطرح الجار والمجرور، ولم يقل: قيل له، لانصباب القصد إلى القول، لا إلى المقول له مع كونه معلومًا، فلهذا لم يذكره من أجل ذلك"[٣٥] .

وقد توافر لسهل بن هارون هذا النمط من الحذف في رسالته ؛ لتركيزه على ما قصد ايصاله إلى مخاطبيه من ذلك قوله : " وعبتموني بخصف النعال ، وبتصدير القميص، وحين زعمت أنّ المخصوفة أبقى وأوطأ وأوقى، وأنفى للكبر، وأشبه بالنسك "[٣٦] في هذه الجمل من النّصّ آثر حذف المفضل عليه من السياق : أبقى من غير المخصوفة ، وأوطأ من غيرها ، وأنفى للكبر من الجديدة ، واشبه بالنسك من غيرها .

وهذا في التفضيل معروف في العربية يقول عنه ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) : "اعلم أنّهم قد يحذفون "من" من "أفعل" إذا أريد به التفضيل، ومعنى الفعل، وهم يريدونها، فتكون كالمنطوق بها، نحو: "زيد أكرم وأفضل"، فلم تأتِ بألف ولام، كما لم تأتِ بها مع "من"؛ لأنّ الموجود حكمًا كالموجود لفظًا، ومنه قوله عز وجل: ﴿ نز نم نن ني ىٰ ير يز ﴾ سورة طه : ٧ ، أي: أخفى منه، أي: من السّر، وهو حديث النّفس"[٣٧]

والذي نلحظهُ أنّ سهل بن هارون قد أراد اللفظ الذي يبين له حرصه ، ويكشف لنا قصده ،فلا يرمي إلى مجرد المفاضلة بين المخصوفة ، وغير المخصوفة من النّعال ، وإنّما قصد بيان فضائل المخصوفة ، التي لو نظرنا إلى هذه الفضائل لوجدناها جمعت بين الفضلّ الماديّ، والمعنويّ ،فالماديّة من فضلّها: أنّها أبقى في الاستعمال من غيرها ،وهذا باب من الاقتصاد

---

[٣٤] المصدر نفسه : ١١ .

[٣٥] الطراز : ٥٢/٢ .

[٣٦] البخلاء : ١١ ، ومعنى تصدير القميص ربط طرفيه وجعله كالحزام على البطن جاء في الصحاح : "التصدير، وهو للرحل بمنزلة الحزام للسرج".: الصحاح : (غرض) : ٧٧١ . و ينظر (بطن) : ٩٦ .

[٣٧] شرح المفصّل لابن يعيش : ١٣١/٤ .

الماديّ ،والانتفاع منها لأطول مدّة ممكنة ، وأوطأ من غيرها ،فهي في الاستعمال أفضل من الجديدة فلا تؤثر على القَدَم ، فقد أصبحت ليّنة من كثرة الاستعمال ،وأخذت مقاسًا مُستقِرًّا لقَدَم مُستعمِلِها ، وهذا من الصفة المادية لهذه النّعل . أمّا الفضل المعنوي فالمخصوفة هي إلى تواضع صاحبها ،وزهده أبين من الجديدة ، فهي تنفي التّكبّر عن لابسها ،وتشبّه بأهل النّسك ،والزّهد في الدّنيا .

وقد حَذف الكاتب في هذا النّصّ جملًا مستحقة بشأن تصدير القميص ، فقد أغفلها ،ولم يذكر شيئًا من فضائل التّصدير ، ولعلّه من جهة الاكتفاء بما هو دون فإن كان قصف النّعال بهذا الفضل فمن باب أولى أن يكون تصدير القميص أرفع شأنًا .

رابعًا :التقديم والتأخير :

وقف ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) على التّقديم والتّأخير ورأى أنّه :" على ضربين: أحدهما ما يقبله القياس، والآخر ما يسهّله الاضطرار" [٣٨]،ولعلّ القسم الأول هو ما سنطالعه في رسالة سهل بن هارون إذ الاضطرار بابه المنظوم لا المنثور .

أما قيمة التّقديم والتّأخير في الأساليب البلاغية فقد وصفها أحمد مطلوب بقوله : " هذا الباب تتبارى فيه الأساليب ،وتظهر المواهب ،والقدرات، وهو دلالة على التمكّن في الفصاحة وحُسن التّصرف في الكلام ووضعه الوضع الذى يقتضيه المعنى "[٣٩].

وقد ورد في هذه الرسالة أنواع من التّقديم والتّأخير التي منها تقديم المسند ، وتقديم بعض معمولات الفعل [٤٠] .

فقد جاء المسند إليه مؤخرًا في قوله :" وعبتموني حين ختمتُ على سدّ عظيم، وفيه شيء ثمين "[٤١] وأصل الكلام : وشيء ثمين فيه ، فقدّم المسند (فيه) أو (مستقر) و شبه الجملة من الجار والمجرور متعلق به، وهذا التّقديم ملتزمٌ فيما وقع فيه المبتدأ نكرة والخبر ظرفًا ، وهو مسوغ من مسوغات الابتداء بالنّكرة [٤٢] ، وعلى الرّغم من أنّ المبتدأ هنا نكرة ،فقد وصفه بوصف يليق بالتحرّز عليه فقال : (شيء ثمين) ومع هذا الوصف جاء التّقديم للمسند (فيه) لتقع موقع القبول من المتلقي

---

[٣٨] الخصائص : ٣٨٤/٢ .

[٣٩] أساليب بلاغية : ١٦٨.

[٤٠] ينظر: معاني التراكيب دراسة تحليلية في بحوث علم المعاني ، دكتور: عبد الفتاح لاشين : ١٣٠/١.

[٤١] البخلاء : ١٠ ، ومثل هذا الموضع قوله : " والى جانبه حق مضيع " ص: ١٣.

[٤٢] ينظر: شرح المفصل ، لابن يعيش : ٢٣٤/١ ، ٢٣٧ ، .

مثلما قصد استعمالها المنتج ،فهو يتحرّز على ما فيه اقتصادًا وحرصًا سواء كان هذا الشيء ثمينًا أم غير ثمين .

وقد جاء هذه التّقديم والتّأخير في سياق النسخ، والتأكيد للجملة الاسمية ،وذلك في تقديم خبر كان على اسمها في قوله : " وكان في ثوب عمر رقاع أدم " [٤٣] ، فقد قدّم شبهة الجملة من الجار والمجرور(في ثوب عمر) وهو المسند في محل رفع خبر مقدّم وأخّر المسند عليه (المبتدأ) وهذا التّقديم فيه رعاية لأهمية المُقدَّم فقد قصده فالمراد الثوب، ولا سيما حين أضافه إلى عمر والمراد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فثوب الخليفة مُرقّع بأَدَمٍ .

وذلك في تقديم خبر إنّ على اسمها في غير موضع من الرسالة منها قوله : " وقلت لكم، عند إشفاقي عليكم: " إنّ للغنى سكرا، وإنّ للمال لنزوة "[٤٤]، وقد جمع للمخاطب بهذا التقديم في الجملة الأول مؤكدين الأول : بـ(إنّ) والآخر بالتقديم الذي وقع للخبر (للغنى) ، أما الجملة الثانية ففيها ثلاثة مؤكدات : الأول : بـ(إنّ) ، والثاني: باللام المزحلقة وهي التي تفيد التأكيد والثالث : بتقديم الخبر شبه الجملة (للمال) ، فإن كان هذا التأكيد قد قصده فيكون قصده بالضرورة مُنْتقل إلى مراعاة المُخاطَب فيما قصده وإنزاله المنزلة التي يراه بها ، والتأكيد الذي جاء بالتّقديم قد نقل المخاطب في الجملة الأولى من الشاك في صدق الخبر إلى المُنكر له ، أمّا عدم اكتفاء سهل بن هارون بهذا التّقديم في الجلمة الثانية وتضمينه لها بمؤكد ثالث هو اللام المزحلقة ، فإنّ الكلام قد يزيد انكارًا لدى المخاطب للعلّة ما ، والذي يبدو لي أنّها هنا أنّ المال وجه من أوجه الغنى وسبب له ، فالنّزوة أليق بالغنى ، فلمّا جاء بالخاصّ بعد العام أفرد للخاصّ ما يكون بسببه ،وهي النّزوة التي طالما صحب المال ، وحاجة المتكلم لهذه المؤكدات جاءت من انكارهم العام لطريقته ومذهبه ، فإخباره عن الغنى والمال بما قد يرغبهم بها من السكر والنزوة وجه قوي عنده أنّهم سينكرون عليه قوله فالتأكيد ضرورة تخرجه من هذا الانكار[٤٥].

---

[٤٣] البخلاء : ١١ .

[٤٤] المصدر نفسه : ١٤ ، ومثل هذا الموضع قوله : " ولو كان ذكر العيوب برا وفضلا، لرأينا أن في أنفسنا عن ذلك شغلا." ص: ١٠.

[٤٥] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٣١ ،٣٢ .

أما تقديم معمولات الفعل عليه ، فقد جاء تقديم المفعول به على الفعل في قوله : " فلا العذرَ المبسوط عرفتم "[٤٦] ، وإن كان تقديم المفعول على فعله لا يخلو من افادة التخصيص [٤٧]، فأصل الجملة ، فلا عرفتم العذر المبسوط ، فـ(العذر المبسوط) قصد سهل بن هارون ومراده من مخاطبيه ؛ولعدم معرفتهم لهذا الأمر خصه بالتقديم وأظهر أهميته لديه .

خامسًا : مخاطبة غير المعين :

الأصل في المخاطبة أن تكون لمعين ، وهذا المعين فردًا كان أم جماعة ، ينبغي أن يشرك مع التكلم بخلفية معرفية تؤهله لفهم الكلام ،وفحواه ، أما أن يأتي الكلام لغير معين من جهة المتكلم فلغرض ،وقصد يريده المتكلم نبه عليه أهل البلاغة ، وهذا القصد هو تفظيع حال المُخاطَبين ،وأنّ ما هم فيه قد تناهى في الظهور ،فلا سبيل لإنكاره [٤٨].

والرسالة التي بين أيدينا لم توجّه إلى محدّد من مخاطبيه ، فهي إلى لبني عمه من آل زياد ، وليست لواحد منهم معين ، فلم يخاطب فردًا منهم باسمه أو كنيته [٤٩]، أو ما يقتضي تحديدًا له ، وهذا ما تكشفه لنا الضمائر التي وظفّها سهل بن هارون في نصه ، فالضمير (الكاف) الذي للخطاب ورد في خمسة وثلاثين موضعًا اقترنت جميعها بالميم التي هي علامة للجمع ، أمّا علامة الجمع (الميم) المتصلة بالضمير(التاء) فقد وردت في ثلاثين موضعًا . أما الواو الذي هو ضمير جماعة اتّصل بالأفعال ،فقد ورد في أربعة عشر موضعًا .

ولهذا الورود المتواصل للضمائر الدّالة على الجماعة دلالة ظاهرة على قصد الكاتب ،فحال هؤلاء المُخاطَبين غير خفيّة فيما ذُموا به من إسراف ،و تبذير ،فجاء الارشاد موظفًا هذه الأدوات اللغوية لبيان فظاعة حالهم .

المطلب الثاني : القبول في رسالة سهل بن هارون

---

[٤٦] البخلاء : ٩ .

[٤٧] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ١٢٧ ، ١٢٨ .

[٤٨] ينظر : المصدر نفسه : ٤٨ .

[٤٩] هذا باستثناء عنوان الرسالة الذي جاء في المطبوع : (رسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد) لا أظن إنّه من انشاء سهل بن هارون ، وهذا ما ألمح إليه الاستاذ المحقق : طه الحاجري ، في مناقشة إلى من توجهت إليه هذه الرسالة : ينظر: البخلاء: ٢٦٨.

تعريف القبول : (Accepptability)

القبول لغة :

قَبِلْت الهديةَ أَقْبَلُها قَبُولاً وقُبُولاً . وَيُقَالُ : عليه قَبُول إذا كانت العَينُ تَقبَله ، وعلى قَبولٍ أَي تقبَله العَينُ ، يُقال : قَبِلت الشيءَ قَبُولاً إذا رَضِيته ، وتَقَبَّلتُ الشيءَ وقَبِلْته قَبُولاً ، وهو بِفَتحِ القافِ المحَبَّةُ والرِّضا بالشيءِ ومَيلُ النفس إليه[٥٠] .

القبول اصطلاحًا :

يعرف دي بوجراند القبول بأَنَّه "يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام"[٥١]

ويعرفه كَلٌّ من فولفجانج وديتر بأَنَّه : "موقف متلقي النص حول توقع نص متماسك ومتناسق مما يعد مفيدًا أو مهمًا بالنسبة إليه يدلي السامع بشروط معرفته حول ذلك على شكل علاقات عاقبة لتكون مساهمة في تكوين التناسق في مفهوم النص"[٥٢] .

إنّ أهمّية هذا المعيار تأتي من أهمّية المتلقي في عملية الاتصال ، فيكون معيار قبوله للنصّ ضرورة في تحليل الخطاب ، فهو بهذا المعيار الذي يمثّل أحد طرفيّ عمليّة إنتاج النّصوص (المتلقي) [٥٣] .

ولعلّنا نقف أمام قبول هذا النّصّ الذي بين يدي التّحليل، ونحن بين اتّجاهين هما : اتّجاه القبول الأدبي لنصّ الرّسالة ،فعلى الرّغم من أنّ هذه الرّسالة لم تلقَ القبول الذي سعى إليه سهل بن هارون لدى فئة من المخاطبين ،وهم الأمراء الوزراء فقد ردّها عليه ابن عمه الحسن بن سهل وزير المأمون ، وكانت حجج الرّدّ أنّه مدح ما ذمّ الله وحسّن ما قبّح الله [٥٤] ، ولهذا الرّدّ صبغة دينيّة ،والحقيقة أنّها حُجة الذي لا يرغب بالعطاء ،وإلّا فقد وظّف سهل بن هارون النّصّ الدينيّ توظيفًا ظاهرًا يبعد عنه هذه الشّبهة لمن أراد الإنصاف ، ولعلّنا نلتمس في طيّات هذا الرّدّ قبولًا ظاهرة لما قدمه سهل بن هارون وقد جاءت عبارة الوزير (وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك) [٥٥] بهذا المعنى من القبول .

---

[٥٠] ينظر : لسان العرب : (قبل)١١/٥٤٠ .
[٥١] النص والخطاب والإجراء : ١٠٤ .
[٥٢] مدخل إلى علم اللغة النصي : ٩٤ .
[٥٣] ينظر : علم لغة النص النظرية والتطبيق : ٢٨ ، ٣٤ .
[٥٤] ينظر : معجم الأدباء: ٣/ ١٤٠٩.
[٥٥] ينظر : المصدر نفسه : ٣/ ١٤٠٩.

وعلى الرّغم من أنّ موقف فئة الوزراء والأمراء متردّد من نصّ رسالة سهل بن هارون بوصفهم من خواصّ المُخاطبين ، نجد في المقابل فئة الأدباء قد تلقوا هذا النّصّ بقبول ظاهر وعلى رأسهم الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ويكفي دليلا على ذلك نقله للرسالة في كتابه ، ثم يتعاقب الأدباء من بعده بقبول هذه الرسالة وعرضها في كتبهم .

أمّا الجانب الآخر من قبول هذا النّصّ فوفق معيار القبول النّصّي الذي نحن بصدد بحثه في هذه الرسالة [٥٦] ويمكن لنا كشفه في الفقرات الآتية :

أولا : الشواهد :

قد ضمن رسالته شواهد متنوعة في سبيل إلزام قومه الحجة فيما ذهب إليه من الاقتصاد والحرص ،وهي كما يأتي :

- **الموروث الديني :** على الرغم من شناعة ما أُتهم به سهل بن هارون من البخل والزندقة إلا أنّ هذه الرسالة كما يقول الدكتور إبراهيم عوض عن صاحبها : "فهو يستشهد بما أُثِر عن النبي(صلى الله عليه وسلم) وعن عمر وطلحة ومعاوية وابن سيرين والحسن البصرى وغيرهم من الصحابة والتابعين. وهناك إشارة عفوية إلى وضوئه، مما يدلّ على أنّه كان يصلّى. وهذه العفوية في الكلام عن شعيرة الوضوء تنفى أن يكون سهل قد ذكر ذلك تقية وتعمية. قال مدافعاً عن مذهبه فى التدقيق في الإنفاق حتى ولو فى الماء "[٥٧].

ولعلّ أهمية هذه الشواهد لا تقتصر على كونها تؤيّد مذهبه في الاقتصاد ،وإنّما هي مبرّر من مبررات القبول النّصّي ، فقضايا الاعتقاد ،ولا سيما في الشواهد من القرآن الكريم والشواهد من السنة النبوية ، هي منتهية عند غالب المتلقين إلى القدسية ، فقبولها مرتبط بالعقيدة[٥٨] . وهذا ما يظهر جليًا في قصد سهل بن هارون حين ضمن رسالته هذه النصوص، فهدفه لا شكّ أن تتلقى هذه الرسالة بالقبول على الأقل ممّن وجّه إليهم هذه الرّسالة ،وهم بنو عمّه من آل زياد .

---

[٥٦] ينظر : المصدر نفسه : ٣/ ١٤٠٩.

[٥٧] سهل بن هارون وتهمة الشعوبية والزندقة، والرسالة المنسوبة إليه فى البخل.: ٨ .

[٥٨] ينظر: معايير النظرية النصية في شعر الصعاليك الأمويين دراسة وتطبيق :٣٠٦ .

- **الحِكَم :**

لا نبعد إن قلنا بأنّ هذه الرسالة قد نسجها سهل بن هارون من ألوان متنوعة من الحكم والمواعظ ، قد وظّفها في كلّ قضية ساقها لردّ التّهمة عنه فيما أُعيب عليه ، ويكفي أن نكشف هذا في نقل نصّه الذي أتى به في أوّل خاتمته لهذه الرسالة وهو قوله : " ولسنا ندع سيرة الأنبياء، وتعليم الخلفاء، وتأديب الحكماء، لأصحاب الأهواء " [٥٩] فتأديب الحكماء قد نقل منها جملًا ليست بالقليلة ، منها : في أوّل رسالته قول الأحنف بن قيس[٦٠] :" يا معشر بني تميم، لا تسرعوا الى الفتنة، فإنّ أسرع الناس إلى القتال، أقلهم حياء من الفرار "[٦١] ، وزيد بن جلبة بقوله : " وقال زيد بن جبلة : ليس أحد أفقر من غني أمن الفقر، وسكر الغنى أشد من سكر الخمر "[٦٢] ، وغيرهما[٦٣] .

وهنا يجدر بنا التنبيه على أنّ قضية تضمين الحكم ومقولات أهل التجربة ، مما يؤثر في قبول النصّ ، فلا شك حين يكون الكلام قد أُيّد بكلام من شُهر بالحكمة والمعرفة سيلقى القبول ، ولا سيما حين توافر لما يعرضه لكاتب مثل سهل بن هارون هذا العدد من أقوال الحكماء ، فتكون رسالة أولى بالقبول عندئذ .

ويكفينا هذا النمط من الشواهد بقبول القضية الجزئية على الأقل في رسالة سهل بن هارون ، فقد نسب هذا الاقتصاد إلى من يستشهد على الناس بعقولهم وحكمتهم .

ثانيًا : سجع الكلام :

---

[٥٩] البخلاء : ١٥ .

[٦٠] والأحنف كان اسمه صخر وقد قيل إنّ اسمه الضحاك والأحنف لقب ؛لأنّه ولد أحنفا وكان من عقلاء الناس وفصحائهم وحكمائهم يروي عن عمر وعثمان روى عنه الحسن وأهل البصرة . ينظر: الثقات لابن حبان : ٥٦/٤.

[٦١] البخلاء : ٩ .

[٦٢] المصدر نفسه : ١٤ . زيد بن جبلة بن مرداس بن بو بن عبد قيس بن مسلمة بن عامر بن عبيد السعدي البصري، أحد الفصحاء. وكان زيد شريفا في الإسلام، كان الأحنف يقول: طالما خرقنا النعال إلى زيد بن حبلة، فنتعلم منه المروءة– يعني في الجاهلية ، ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة : ٥٣١/٢ .

[٦٣] مثل :زياد : ١٢ ،والحسن : ١٣ ، ابن سيرين:١٤ ،و يحيى بن خالد ومحمد بن زياد: ١٤ . ، والحضين بن المنذر:١٥ وهشام : ١٥ أبو الأسود الدؤولي : ١٥ وقد يكني عن بعض الحكماء بقوله : رئيس الحكماء ومقدم الأدباء : ١٥، أو ينسب القول بلا تعيين كأن يقول : ويقولون :٩ ، أو قال رجل لبعض السادة :١٢.

جاء في تعريف السجع بأنّه : " تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد "[٦٤]،ولعلّ من وجوه قبول النّصّ ،ولا سيما النثري منه ، تلك الألفاظ المسجوعة التي يسبك بها النص ، ولا سيما إن جاءت هذه الاسجاع بعيدة عن التكلف والتصنع ،موافقة لشرائطها ،غير مؤثرة في دلالة ألفاظها على معانيها المرادة في سياقاتها . وهذا ما نراه في تقريرات ابن جني في أثر السجع والعناية بالألفاظ في إظهار قصد المتكلم الذي سنعكس لزامًا على قبول النص من جهة المخاطبين ، فهو يقول : " إنّ العرب كما تعنى بألفاظها ،فتصلحها ،وتهذبها ،وتراعيها، وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة وبالخطب أخرى ،وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها فإنّ المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدرا في نفوسها. فأوّل ذلك عنايتها بألفاظها. فإنّها لمّا كانت عنوان معانيها ،وطريقًا إلى إظهار أغراضها ،ومراميها أصلحوها، ورتبوها ، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها؛ ليكون ذلك أوقع لها في السمع، وأذهب بها في الدلالة على القصد "[٦٥].

وقد تميزت رسالة سهل بن هارون في السجع وتوارد في فقراتها ،وإنّ المتأمل لما جاء في الفقرة الثانية من الرسالة يجد أنّه جاء بالسجع المطرّف فقد اختلفت أوزان الفواصل لديه مع اجتماعها على حرف واحد[٦٦] هو (الميم) وذلك في قوله " وما أردنا، بما قلنا، إلا هدايتكم وتقويمكم، وإلا إصلاح فسادكم، وإبقاء النعمة عليكم. ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم، فما أخطأنا سبيل حسن النية، فيما بيننا وبينكم. ثم قد تعلمون أنّا ما أوصيناكم إلا بما قد اخترناه لأنفسنا قبلكم، وشهرنا به في الآفاق دونكم، فما كان أحقكم، في تقديم حرمتنا بكم- أن ترعوا حق قصدنا بذلك إليكم، وتنبيهنا على ما أغفلنا من واجب حقكم، فلا العذر المبسوط عرفتم، ولا بواجب الحرمة قمتم." [٦٧].

فنلحظ الفواصل : (هدايتكم وتقويمكم) و(فسادكم عليكم) و(وبينكم إرشادكم) و(أوصيناكم قبلكم، دونكم) و (بكم إليكم) و(حقكم عرفتم قمتم) ، وهذه الفاصلة بحرف الميم التي هي علامة للجمع جاءت مع (كاف الخطاب)وقد تنوع محلها من الاعراب فهي مجرورة

---

[٦٤] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٤١٨ .

[٦٥] الخصائص : ١/ ٢١٧- ٢١٨ .

[٦٦] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٤١٨ .

[٦٧] البخلاء : ٩ .

بحروف الجر على و الباء و إلى ، ومجرورة بالإضافة إلى الاسماء (هداية و تقويم ، فساد ، بين ، إرشاد ، قبل ، دون ، حقّ) ، وفي محل نصب مفعول به في : (أوصيناكم).

ومثل هذا قوله :" وإنّ من أعظم الشقوة، وأبعد من السعادة، ألا يزال يتذكر زلل المعلمين، ويتناسى سوء استماع المتعلمين، ويستعظم غلط العاذلين ولا يحفل بعمد المعذولين"[٦٨].فالفواصل المختومة بالتاء (الشقوة ، السعادة) والتي ختمت بالنون من فواصل الجمل في نصه :(المعلمين المتعلمين،العاذلين ،المعذولين) فقد قرن بين اسم الفاعل واسم المفعول مرتين محدثًا بما صنعه جرْسًا في كلامه لا يُمل سماعه فلا تكرهه النفوس، عسى أن يقع موقعه في أسماع مخاطبيه من بني عمه[٦٩].

أمّا ما ورد في الرسالة من السجع الذي تتطابق فيه القرينتان بعدد ألفاظهما ووزن فواصلهما أو تتقاربان في ذلك وهو ما يمسى الترصيع [٧٠]، فقد جاء في خاتمة رسالته : " ولسنا ندع سيرة الأنبياء، وتعليم الخلفاء، وتأديب الحكماء، لأصحاب الأهواء"[٧١] فالفواصل (الأنبياء ، الخلفاء ، الحكماء ، الأهواء) تطابقت في صيغها ، أما جملها وعدد ألفاظها فقد تطاب منها : (تعليم الخلفاء، وتأديب الحكماء).

ثالثًا : التقريب :

جاء التقريب في البلاغة العربية وسيلة لقبول الغلوّ ،وهو ما كان من المبالغة في غير التبليغ الذي يقع فيه "المُدَّعَى إن كان ممكنًا عقلًا وعادة"[٧٢] ،أو الإغراق الذي يقع "إن كان ممكنًا عقلًا لاعادة "[٧٣]والغلوّ غير مقبول في عرف البلاغيين إلا إذا اقترن بما يُقَرِّبه إلى الصحّة أي: إمكانية الوقوع.

---

[٦٨]المصدر نفسه : ١٠.

[٦٩]المصدر نفسه : ١٢ في قوله : "وقد علمنا أنّ الجديد في موضعه دون الخلق؛ وقد جعل الله (عزّ وجلّ) لكلّ شيء قدرًا وبوأ له موضعًا، كما جعل لكلّ دهر رجالا، ولكلّ مقام مقالا؛ وقد أحيا بالسّم، وأمات بالغذاء، وأغصّ بالماء، وقتل بالدواء".

[٧٠] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٤١٨ .

[٧١]البخلاء : ١٥.

[٧٢] التلخيص: ٣٧١.

[٧٣]المصدر نفسه : ٣٧١.

ولهذا التقريب أدواته اللغوية منها (كاد، لو) يقول الكفوري: "كل من الاغراق والغلو لا يُعَدُّ من المحاسن إلا إذا أقترن بما يقربه من القبول مثل (كاد، و(لو) وما يجري مجراهما من أنواع التقريب"[٧٤].

لم يستعمل سهل بن هارون (كاد) في رسالته غير أنّه قد استعمل (لو) في خمسة مواضع ، و (لو) في العربية تكون بحسب الجملتين بعدها ، فإن دخلت على جملتين مثبتتين كانت حرف امتناع لامتناع مثل: (لو قام زيد لأحسنت إليك)، وإن دخلت على جملتين منفيتين تكون حرف وجوب لوجوب نحو:(لو لم يقم زيد لم يقم عمرو)، وإن دخلت على جملتين الأولى مثبتة والثانية منفية ، كانت حرف امتناع لوجوب نحو: (لو يقوم زيد لما قام عمرو)، وتكون حرف وجوب لامتناع إذا دخلت على جملتين الأولى منفيّة ،والأخرى مثبتة مثل: (لو لم يقم زيد لقام عمرو)[٧٥].

وجواب (لو) يكون فعلًا ماضيًا مثبتًا ،أو منفيًا ،ويكون مضارعًا منفيًا ،وتقترن اللام مع الماضي المثبت كثيرًا [٧٦]، ومن هذه المواضع قوله : " ولو كان ذكر العيوب برًا وفضلًا، لرأينا أنّ في أنفسنا عن ذلك شغلًا. وهي هنا حرف امتناع لامتناع ، فقد امتنع أن يرى في نفسه شغلًا عن ذكر العيوب؛ لامتناع الشرط ،وهو أنّ ذكر العيوب ليس برًّا ،ولا فضلًا . وهنا مبالغة في الكلام وقعت في تصوّر أن يكون ذكر العيب من البِرّ ،والفضل . فالذي يجعلها مقبولة هو استعمال (لو) لتقريب الممتنع ،فيقبل على المبالغة في تعظيم ما يمتنع منه .

رابعًا : التشبيه :

التشبيه " الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى"[٧٧] ، ومن هنا جاء التّقريب للمعنى المقصود في المشبه ؛ ليكون قريبًا من المشبه به من جهة وجه الشبه بينهما.

وما ذكر في هذه المشاركة في التّشبيه من غير تحديد أداة من أدواته ، يُدخل فيه أدوات التّشبيه جميعها ، وهي: الكاف ،وكأن ،ومثل ،وشبه ،وشابه ،وما يرادفها من ألفاظ [٧٨].

---

[٧٤] الكليات: ١٥٢– ١٥٣، الذي يعني البحث هنا ما قربت أحدى الأدوات اللغوية؛ لأنّ من التقريب ما يكون من غير أداة مثل "ما تضمن نوعًا حسنًا من التخييل" ينظر: التلخيص: ٣٧٣. كما أنّ التقريب هنا يراد به تقريب المعنى إلى الذهن، وليس مجرد القرب الزمني الذي يقع من خلال بعض الأدوات مثل(قد) في "قد قامت الصلاة" ينظر: الجنى الداني: ٢٥٥.

[٧٥] ينظر: رصف المباني: ٢٨٩، الجنى الداني: ٢٧٧.

[٧٦] ينظر: الجنى الداني: ٢٨٣.

[٧٧] الايضاح في علوم البلاغة : ٢٣٣ ، وينظر: علم البيان ، عبد العزيز عتيق:٤١، ٥٨ .

والغرض العائد إلى المشبه في التشبيه، منه ما يمكن ادراجه تحت فكرة التّقريب ،وتقرير القضية ؛ لذا يقول السّكاكي عنه: "إمّا أن يكون لتقوية شأنه عند السّامع ،وزيادة تقرير له عنده... وإمّا أن يكون لإبرازه إلى السّامع في معرض التّزيين ،أو التّشويه ،أو الاستطراف، وما شاكل ذلك"[٧٩].

ومن التشبيهات التي أوردها[٨٠] سهل بن هارون في رسالته قوله : " أجيدي عجنه خميرًا كما أجدته فطيرًا ليكون أطيب لطعمه وأزيد في ريعه "[٨١]، وهو تشبيه مفرد مفصل أظهر فيه سهل وجه الشبه بين عجنه خميرا وبين عجنه فطيرًا ،وجاء هذا الوجه بصيغة التعليل (ليكون أطيب لطعمه وأزيد في ريعه) ، والمتأمل لهذا التشبيه يجد أنّ الكاتب أراد تزيين ما يأتي من إجادة العجين بحاليه سواء كان خميرًا أم فطيرًا ؛لما في ذلك من زيادة في طعمه وريعه ، وهذا محل قبول المخاطب إذ فيه الترغيب بالمحصول .

ومن التشبيهات لديه قوله : " ولكان نصيب العضو الأول كنصيب الآخر "[٨٢] ،وهذا التشبيه مفرد مجمل لم يذكر فيه وجه الشّبه[٨٣]،ولو أردنا تقديره لكان : لكان نصيب العضو الأول كنصيب العضو الآخر في بلوغ الماء إليه وطهارته ، وفيه يكشف للمخاطب بحجة عقلية كان هذا التشبيه أداتها ؛ولأنّ الاقتصاد يحقّق المطلوب ،ويبلغ المراد ،فقبوله عندئذ أولى من رفضه .

الخاتمة

---

[٧٨] ينظر: المصدر نفسه : ٢٥٥.

[٧٩] مفتاح العلوم: ٤٤٨.

[٨٠] ومن التشبيهات في الرسالة : قوله :" قال: "يومنا يوم قائظ، ولم أزل أتعرف عقول الناس بطعامهم ولباسهم في مثل هذا اليوم، ورأيت ثياب الناس جددا وثيابه لبسا ، فظننت به الحزم" ، وقوله : " وقد قال الحضين بن المنذر: وددت أنّ لي مثل أحد ذهبا لا أنتفع منه بشيء". قيل: فما ينفعك من ذلك؟ قال: "لكثرة من يخدمني عليه." ،وقوله :" وقال: درهم من حل يخرج في حق، خير من عشرة آلاف قبضا . وتلقط عرجدا من برم فقال: تضيعون مثل هذا، " البخلاء : ١٢ ،١٥ ، ١٦.

[٨١] البخلاء : ١٠.

[٨٢] البخلاء : ١٠.

[٨٣] ينظر: علم البيان ، عبد العزيز عتيق: ٥٨ ، وما بعدها .

بعد مسيرة ليست بالقصيرة في رياض رسالة سهل بن هارون، وقفنا في ربوعها على معالم من قصد الكاتب ، قد اثمرت القبول لدى المخاطبين على مر العصور، يمكنني تلخيصها بما يأتي :

- غلب توظيف الجملة الفعلية في الرسالة ، فالجملة الفعلية هي : (٧١%) والاسمية منها (٢٩ %) على التقريب .ولا شكّ أنّ لهذه الورود الغالب دلالته ،فقد كشف لنا قصد المتكلم ،فالذي يرمي إليه سهل بن هارون هنا الحدوث والتجدد في الجملة الفعلية.
- ورد التأكيد بالحرف المشبه بالفعل (إنّ) في الرسالة في واحد و أربعين موضعًا ، وهذا المؤكد هو من نواسخ الجملة الاسمية ويأتي مؤكدا للخبر.
- الراجح أن الرسالة التي بين أيدينا لم توجّه إلى محدّد من مخاطبيه ، فهي إلى لبني عمه من آل زياد ، وليست لواحد منهم معين ، فلم يخاطب فردًا منهم باسمه أو كنيته ، وهذا ما يؤيده ضمائر الجمع المستعملة في الرسالة وعلامة الجمع في الخطاب .
- ونحن بين اتّجاهين هما : اتّجاه القبول الأدبي لنصّ الرّسالة ، وهو قبول الأدباء وأهل التخصص للنص ،والآخر قبول هذا النّصّ فوفق معيار القبول النّصّي الذي نحن بصدد بحثه في هذه الرسالة وجاء عن طريق الشواهد المستعملة ، وسجع الكلام ، والتقريب والتشبيه .

قائمة المصادر والمراجعة :

القرآن الكريم

١- أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها ، الحسين بن علي بن الحسين، أبو القاسم الوزير المغربي (ت ٤١٨هـ) ، أعده للنشر: حمد الجاسر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ، ١٩٨٠ م

٢- أساس البلاغة ، تأليف : أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٨ م .

٣- أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني ، تأليف :أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي ، وكالة المطبوعات – الكويت ، ط / ١ ، ١٩٨٠ م.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط / ١ ، ١٤١٥ هـ .

٥- البخلاء ، للجاحظ ، حقق نصه وعلق عليه : طه الحاجري ، دار المعارف ، مصر – القاهرة ، ط/ ٩ ، ٢٠١٠م

٦- البغال ، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ط/ ٢ ، ١٤١٨ هـ .

٧- التلخيص في علوم البلاغة، للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب (ت٧٣٩هـ) ، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، د . ط ، د . ت .

٨- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (ت ٧٧٨ هـ) دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربية ، ط/ ١ ، ١٤٢٨ هـ.

٩- الثقات ، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤ هـ) ، وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية ، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية ، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، ط/ ١، ١٣٩٣ هـ .

١٠- الجنى الداني في حروف المعاني ، صنعة : الحسين بن قاسم المرادي(ت٧٤٩هـ) تحقيق : فخر الدين قباوة والأستاذ : محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط/١ ،١٩٩٢م.

١١- الخصائص ، المؤلف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ) : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط/ ٤ د. ت .

١٢- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ط/ ٧ ، د. ت .

١٣- رسائل الجاحظ للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر ، ١٩٦٤ م.

١٤- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، للإمام أحمد بن عبد النور المالقي ، (ت ٧٠٢ هـ) ، تحقيق : أحمد محمد الخرَّاط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، د . ط ، د . ت .

١٥- سهل بن هارون وتهمة الشعوبية والزندقة، والرسالة المنسوبة إليه فى البخل. ، بحث منشورة على موقع الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب : http://www.wata.cc/forums/showthread.php?109326 ، كانت الزيارة بتاريخ ١٢/٢ / ٢٠٢٢ م الساعة العاشرة صباحًا.

١٦- شرح التصريح على التوضيح ، للشيخ خالد الأزهري ، تحقيق : أحمد السيد سيد أحمد ، راجعه : إسماعيل عبد الجواد عبد الغني ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، د.ت ، د.ط .

١٧- شرح المفصل للزمخشري ، تأليف : يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، المعروف بابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) قدّم له: إميل بديع يعقوب دار الكتب العلّمية، بيروت – لبنان ط/ ١ ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

١٨- الصحاح مرتب ترتيبا ألف بائيًا وفق أوائل الحروف، تأليف الامام إسماعيل بن حماد الجوهري ، اعتنى به : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط/ ٢ ، ٢٠٠٧م .

١٩- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت ٧٤٥هـ) ، المكتبة العنصرية – بيروت ط /١، ١٤٢٣ هـ .

٢٠- علم لغة النّصّ ، المفاهيم والاتجاهات ، الدكتور سعيد بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة . مصر ، ط/٢ ، ٢٠١٠م .

٢١- علم لغة النّصّ ، النظرية والتطبيق ، تأليف : الدكتورة عزة شبل محمد ، تقديم : الدكتور سليمان العطار ، مكتبة الأدب ، القاهرة ، ط/٢ ، ٢٠٠٩م .

٢٢- علم المعاني ، عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦ هـ) ، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ط/ ١ ، ٢٠٠٩ م .

٢٣- عمدة الكتّاب ، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ) المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي دار ابن حزم – الجفان والجابي للطباعة والنشر ، ط/ ١ ، ٢٠٠٤ م.

٢٤- فنّ الرسائل عند سهل بن هارون وعمرو بن مسعدة ، رسالة ماجستير للباحث : فائد محمود محمد سلمان ، بإشراف : د. عبد الخالق عيسى ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، نابلس – فلسطين ، ٢٠١١ م .

٢٥- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ) قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه ، الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان ، ط/ ٢ ، ١٩٩٨م .

٢٦- لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ) ، دار صادر . بيروت ، د . ط ، د . ت .

٢٧- معاني التراكيب دراسة تحليلية في بحوث علم المعاني ، دكتور: عبد الفتاح لاشين ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة – مصر ، د . ط، ١٩٩٩ م .

٢٨- معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن ، ط/ ١ ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

٢٩- معايير النظرية النصية في شعر الصعاليك الأمويين دراسة وتطبيق ، الدكتور يونس يحيى عبد الله ، مكتبة وهبة ، مصر – القاهرة نط/ ١ ، ٢٠١٨ م .

٣٠- معجم الأدباء ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، المحقق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط/ ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٣١- المعجم المفصل في علوم البلاغة ، البديع والبيان والمعاني إعداد : د. أنعام فوال عكاوي ، مراجعة أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط/ ٣ ، ٢٠٠٦ م .

٣٢- المعجم الوافي في أدوات النحو العربي ، صنعة د. علي توفيق الحمد ، و يوسف جميل الزغبي ، دار الأمل ، إربد – الأردن ، ط/ ٣ ، ١٩٩٣ م .

٣٣- مدخل إلى علم اللغة النصي ، تأليف : فولفجانج هاينه من ، وديتر فيهفيجر ، ترجمة : الدكتور فالح بن شبيب العجمي ، مطابع جامعة الملك سعود الرياض . المملكة العربية السعودية ، د . ط ، ١٩٩٩م .

٣٤- مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، تأليف : زتسيسلاف واو رزنياك ، ترجمه وعلق عليه ، الدكتور سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار ، للنشر والتوزيع ، القاهرة . مصر . ط/ ٣ ، ٢٠١٠م.

٣٥- مفتاح العلوم ، تأليف : أبي يعقوب يوسف بن محمد بن السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) ، حققه وقدم فهارسه : الدكتور عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٠ م .

٣٦- مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) ، راجعه : أنس محمد الشامي ، دار الحديث ، القاهرة ، ط/ ١ ، ٢٠٠٨ م.

٣٧- النّصّ والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة : الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط/٢ ، ٢٠٠٧ م .